

Gsell (St), H.A.A.N., T.6, p. 106. - (21)

- يشير هنا إلى الرموز التي تظهر على الرسوم الصخرية، انظر: ص، 96 رقم 3.

Cf. Gsell (St), Loc. cit; Fevrier (J.G.), op. cit., p. 320-322. - (23)

J. Friedrick, Zdmg, 91, 1937, p. 334 et suiv.; d'après Fevrier (J.G.) op. cit., p. - (24)

322

شكل 2

المقابل بالحرف اللاتيني	النوميدية (الليبية)	التيفيناوية الحالية	المقابل بالحرف اللاتيني	أكتابة العمودية صحت وأبجدت الليبية أو أسلافها	أكتابة الأفقية صحت وأبجدت الليبية أو أسلافها
b	⊙	⊙ ⊙ ⊙	b	⊙ □	⊙
g	⊙	⊙ ⊙	g	⊙ ⊙	⊙ ⊙
d	⊙	⊙ ⊙	d	⊙ ⊙	⊙ ⊙
h	⊙	⊙ ⊙	h	⊙ ⊙	⊙ ⊙
u, h, u	⊙	⊙ ⊙	u	⊙ ⊙	⊙ ⊙
h, u, e	⊙	⊙ ⊙	z	⊙ ⊙	⊙ ⊙
h, e, e	⊙	⊙ ⊙	z	⊙ ⊙	⊙ ⊙
e	⊙	⊙ ⊙	z	⊙ ⊙	⊙ ⊙
z	⊙	⊙ ⊙	z	⊙ ⊙	⊙ ⊙
z	⊙	⊙ ⊙	z	⊙ ⊙	⊙ ⊙
k	⊙	⊙ ⊙	k	⊙ ⊙	⊙ ⊙
l	⊙	⊙ ⊙	l	⊙ ⊙	⊙ ⊙
m	⊙	⊙ ⊙	m	⊙ ⊙	⊙ ⊙
n	⊙	⊙ ⊙	n	⊙ ⊙	⊙ ⊙
o	⊙	⊙ ⊙	o	⊙ ⊙	⊙ ⊙
q	⊙	⊙ ⊙	q	⊙ ⊙	⊙ ⊙
y, z, q	⊙	⊙ ⊙	q	⊙ ⊙	⊙ ⊙
r	⊙	⊙ ⊙	r	⊙ ⊙	⊙ ⊙
s	⊙	⊙ ⊙	s	⊙ ⊙	⊙ ⊙
t	⊙	⊙ ⊙	t	⊙ ⊙	⊙ ⊙
z	⊙	⊙ ⊙	z	⊙ ⊙	⊙ ⊙

شكل 2: الألفبائية النوميدية (الليبية) والأفريقية والعمودية و التيفيناوية الحالية.

لوكيوس أبوليوس (125 - 180 م)

د. تسعيت رمضان

مولودشات

من مواليد مداوروش حوالي سنة 125م، وقد لقب نتيجة لذلك بالمداوروشي، ينتمي إلى عائلة ثرية وكان والده قد إحتل مركزا مرموقا وشغل كل الوظائف البلدية بالتوالي إلى أن عين قاضيا «دومفير» (DUMVIR) التي تعد أعلى هيئة للقضاء في البلدية(1).

بدأ أبوليوس تعليمه في مداوروش، منها إنتقل إلى قرطاج التي تعد عاصمة ومركز الفكر في إفريقيا(2)، ودرس فيها خاصة الإغريقية، اللاتينية والفلسفة، حيث أنهى بها دراسته الثانوية ليشرع بعدها في دراسة الخطابة(3).

كان شغوقا للمعرفة وأظهر ميلا كبيرا للفلسفة نتيجة لذلك غادر قرطاج متوجها إلى مدينة أثينا معقل الفلسفة التي قضى بها بضع سنوات(4)، إلتقى فيها بجمهور من الطلبة الأفارقة الذين أصبحوا زملاء له على رأسهم جونتيناوس (Pontinaus) من طرابلس الذي أصبح من أقرب المقربين له ولعب دورا حاسما في حياته.

إهتم أبوليوس بدراسة البلاغة، والنحو والصرف، والموسيقى، والشعر، والعلوم، الجدلية والفلسفة، حيث كتب قائلا: «في أثينا أكون قد شربت من كل الكؤوس»(5). كما درس اللغة والآداب الإغريقية وعاش حياة سفسطائي جال العالم مدرسا لللاتينية والإغريقية(6)، وإعتنق الأفلاطونية كذهب وبالضبط في مدرسة أرسطو

التي ترجم فيها العديد من المؤلفات إلى اللاتينية وهو ما سمح له باكتساب تحكما جيدا للإغريقية وأصبح بمثابة همزة وصل بين الثقافة الإغريقية والثقافة اللاتينية.

أعماله في الواقع كانت أكثر تنوعا في المنظور من المنهجية، وكل هذه الذخيرة المكسدة بالمعارف والإستعداد المتنوع هيأت أبوليوس لمستقبل زاهر، فتحققت أحلامه في بلاد الأغريرق، ومع أنه إنتقل إلى روما قبل أن يستقر نهائيا في بلاد الإغريق، حيث إكتسب شهرة الرجل الأديب والخطيب(7).

بعد غياب طويل عن إفريقيقا، إضطر أبوليوس إلى العودة إلى دياره بعد وفاة والده، ليحصل على نصف التركة كما حصل على كل الألقاب البلدية وكذا مقعد في مجلس مداوروش، وهو ما جعله يفكر في البقاء في موطنه مشتغلا بالمحاماة قبل أن يقرر فجأة السفر، هذه المرة تجاه الشرق، وهو في طريقه إلى مصر أصيب بمرض تسبب له في البقاء في طرابلس التي قضى بها ثلاث سنوات تزوج أثناءها (Pudentilla)، التي كان لها دور هام في حياته الأدبية(8).

غادر طرابلس بعدها متوجها إلى قرطاجة التي عكف فيها على القراءة والكتابة والعمل في المحاماة وكان يلقي محاضرات بحضور جمهور غير، وهنا كتب مدحه الشهير لقرطاجة الذي إعترف فيه بكل ما قدمت له هذه المدينة من خدمات مما جاء فيه: «دياري غير بعيدة من هنا، قضيت طفولتي غير بعيد عنكم مذهبي الفلسفي هنا، دائما وفي كل ما كان أذكرك، كما أذكر أوليائي ومعلميا»(9).

نال شهرة كبيرة، مما دفع مواطنيه إلى إقامة العديد من التماثيل له، لدرجة أنه عرف بـ: «كاهن المقاطعة الكبير» وظلت شهرته تجوب الأصقاع حتى وفاته المنية في النصف الثاني من حكم الإمبراطور ماركوس أوريليوس(10).

مؤلفاته

صنفت مؤلفات أبوليوس في ثلاثة أصناف كبرى هي:

1 - مؤلفاته الفلسفية

1 - الآله سقراط (De Dea Socratis): دراسة في شكل خطاب أو بالأحرى محاضرة فلسفية تطرق فيها أبوليوس إلى مذهب الشياطين(11)، إذ نراه دائما يصر على نظرية الشياطين الوسيطة بين الإنسان والآله(12)، فهو بهذا المعنى يعالج في بحثه هذا شيطان أو جن سقراط(13).

يعد هذا الكتيب حول سقراط غريبا، يكشف لنا جانبا من طبيعة أبوليوس لم تكن المسألة التي يعالجها جديدة، إذ إقتبسها من حوار قد نظمه بلوتارخوس حول هذا الموضوع، الذي نقل المشهد إلى طيبة، وفي لحظة المؤامرة ضد السيطرة الأسبرطية، كان قد إعتقد أن المتأمرين المجتمعين في منزل أحد القادة، وسط الرعب والتحويل الشكوك شرعوا في الحديث حول حقيقة جن سقراط(14). بنفس الموضوع جعل أبوليوس موضوع إحدى محاضراته في قرطاجة الذي لم يجعل منه أبوليوس أقل من إنجاز أصلي، لأنه إتخذة خاصة كفرصة لإبداء نظريته حول الشياطين، إذ يقول في هذا الصدد أن الآلهة لا تغادر السماء، والرجال مسمرين في الأرض، فالاتصال والتبادل فيما بينهم منعدم لو لم تكن هناك طبقة تتكون من كائنات وسيطة مكلفة بتنظيم هذه العلاقة بين الأرض والسماء.

كان هذا هو دور الشياطين وملكهم هرمس "Mercur": «فهم يحملون أمانينا إلى السماء، ويبلقوننا بمحاسن الآلهة، فهم الذين يقودون الأشياء المكشوفة والنوبة والتعزيم، حسب رغبتهم يجعلون من أنفسهم مرئين أو متوارين، يتدخلون في قضايانا، يشاركوننا أهواؤنا ويحركوننا بفعل إرادتي كعرائس بسيطة».

يواصل أبوليوس حديثه بالقول أن لكل شيطان صلاحياته الخاصة: في البداية المدعويين بالهة الشعر الذين لا علاقة لهم بالآلهة الحقيقية، ثم السكون، الموت كل الكائنات التي تنظم ظروف الحياة متنوعة للغاية، أضف إلى ذلك أن كل رجل بعد الإحتضار يصبح بدوره شيطان الار(*) أويسوعا(**) أو شبعا حسبما كان طيبا أو شريرا، وأخيرا يرتبط بكل روح شيطان خاص، نوع من الملاك الحارس، مهمته إرشادنا ونصحنا إن سمعناه ومراقبتنا وفيما بعد إتهامنا إن لم نأخذ بأرائه.

وينهي أبوليوس كتيبه بوعض حقيقي يقتدي بموجبه سقراط، ولا يستهن بخيرات هذا العالم، وتكمن قاعدة الحياة في نظره في إحترام وتقدير وعطف شياطيننا المألوفة والسماع لها بخشوع إذ يعد فعلا أحسن مرشد وقاض لنا(15).

2 - الآله أفلاطون: De Platone:

دراسة في ثلاثة كتب يعالج فيها الفلسفة الأفلاطونية في علاقاته بالطبيعة والأخلاق والمنطق(16).

وقد خصص الكتاب الأول للطبيعة والالهة، والثاني للأخلاق بينما عالج في الثالث المنطق(17).

3 - الكون: De MUNDO

عبارة عن تقليد حرفي لموضوع إغريقي منسوب لأرسطو(18) ولكن يبدو أن مؤلفه الحقيقي هو «نيقولا - الدمشقي» موضوعه هذا مهدي لـ: فوستينوس (Faustinus). بعد ثنائه على الفلسفة يقوم بوصف الكون بما فيه السماء، والنجوم، ومحور العالم، والجو، والقارات، والمحيط، والجزر، وظواهر الإرساد، وفي وسط الآله الذي يقود العالم على نمط ملك الشرق(19).

شكلت هذه الكتب ثلاثية تناول فيها بالتناوب المفكرين الإغريق الثلاثة الكبار: سقراط، أفلاطون وأرسطو. كان أبوليوس شديد الإعجاب بهم، لكنه كان يفضل أفلاطون إذ تكلم عنه في كتابه Apologie أبولوجيا بلا إنقطاع وكان يذكره باستمرار وظل مخلصا له، متأثرا بأفكاره، وأوهامه(20). وأصبح يعرف بـ: الفيلسوف الأفلاطوني المداوروش(***- Philosophus Platonicus Madauren sis) وهو ما جعل القديس أغسطينوس(21) يكتب قائلا: «إن أبوليوس الإغريقي كان أفلاطونيا نبيلًا».

هكذا تعد كتاباته الفلسفية عبارة عن ملخص للمذهب الأفلاطوني، مع تأكده على الأفكار الروحانية وكذا فرضية خلود الروح والآخر، ونظرية السنة الكبرى والتحديد الأبدي للأشياء، والإيمان بالشياطين(22).

ب - أعماله الخطابية

1 - فلوريد Florides: عبارة عن سلسلة من أربعة وعشرين مقطعًا مختارة ضمن محاضرات أبوليوس الأكثر شهرة. فهي مقاطع متنوعة بتنوع نوق الخطيب واختلاف الظروف التي تحدث فيها قد نجد فيها مقاطع مشتركة للأخلاق والفلسفة، وأساطير مثلما هو في حديثه عن مغامرة مارسياس (Marsyas) والتاريخ الطبيعي كوصفه للعقاب أو الببغاء، وصورة الإسكندر وحكاية الغراب والثعلب، ونكت حول بعض الخطباء كـ: بروتوغراس (Protogoras) وهيببياس (Hippios) والطبيب أسكليبياد (Asclepiades) فيتاغورس وأفلاطون، وقراطس الكليبي(23).

أهم المقاطع هي التي تضمنت ذكريات أبوليوس الشخصية، كالإشارات حول دراسته وأسفاره ومؤلفاته وعلاقاته بالجمهور(24) وكذا خطابه مثل الخطاب الذي ألقاه أمام أبواب المدينة، وكذا مدحه للبروقنصلين أورفيتوس سكيبيي(rfitus Sci-pio) وروفينوس سفيريانوس (Refinus Severianus) وشكره للقنصل سترابو (Strabo)(25).

تساؤلات عديدة تطرح حول إنجاز هذا. هل هذه المقاطع قام بجمعها معجبي أبوليوس؟ وهل هي عبارة عن أجزاء كان يريد أبوليوس أن يجد لها مكانا في دروسه الخطابية، هل فهي مدونة من نماذج لنشرها بقصد تكوين وتثقيف الشباب الذين يزاولون دراستهم عنده؟

على الرغم ما قيل فإن المؤكد أن عمله هذا يعطينا فكرة واضحة حول موهبته كخطيب والمكانة التي أحرزها عند القرطاجيين، كما تعطينا صورة عما كان عليه الفن الخطابي في القرن الثاني بعد الميلاد في قرطاج، كما تكشف لنا الفترات الغامضة من حياة الخطيب إذ تعد الوحيدة التي تقدم لنا أبوليوس ككاتب أصيل أو على الأقل كـ: كاتب مبدع(26).

2 - المرافقة: Apologie: عبارة عن خطاب حول الشعوذة، فهو يشبه كثيرا فلوريدا وهو بمثابة رد أبوليوس على التظلمات والشكاوي المقدمة ضده من طرف ابن زوجته الذي يتهمه بالسحر والإغراء(27)، ألقاه أمام البروقنصل كلوديوس ماكسيموس (Clauduis Maximus) للدفاع عن نفسه، وإن كان يصعب علينا تحديد تاريخ المحاكمة بالضبط، وكل ما نعرفه أنها جرت في صبراطة بإقليم طرابلس في منتصف القرن الثاني من حكم الانطونيين(28).

ينقسم الخطاب بكامله إلى ثلاثة أقسام كبرى، تطرق أبوليوس في القسم الأول إلى الإتهامات الملتزمة ضده والتي تمس به شخصيا كجماله وأبقتة وإرساله معجونًا للأسنان لأحد أصدقائه وتأليفه لأبيات جذابة، وأمتلكه لمرأة وفقره، بينما عالج في القسم الثاني إتهامه بالشعوذة والسحر بسبب مداومته على شراء الأسماك، ثم إغرائه أولا لطفل، ثم العديد من الأطفال، أخيرا لامرأة، ولأنه يحافظ بغرابة على شيء ملفوف في منديل، كما كان يقدم في منزل زميل لها الأضحاحي ليلا لتمثال صنعه من خشب. وأخيرا تناول أبوليوس في القسم الثالث من خطابه ما يتعلق بزواجه من بوننتلية Pudentilia باتهامه بسحرها، ومراسلاته الغرامية معها وسنها (60 سنة)، ووقوع الزواج في الريف، واستحواذه على ثروة زوجته(29).

في رواية المسوخ من أصول شاذة، مزين باستمرار باستعارات تصويرية وتعبير واقعية، لغته كثيرة المصطلحات الشعبية أو العامية والفاظ جديدة (35).

وبذلك يكون أبوليوس قد نكب في كل الإتجاهات لتشكيل مجموعة من الكلمات مستمدة من الليبية والبونيقية، الإغريقية أو اللاتينية الإفريقية العامية. ومن التعبيرات الجديدة للقدامي، الصيغ العامية أو رطانة كل شيء بالنسبة له جيد لأنه يريد رسم كل ما يراه (36).

وظلت شهرته كخطيب وفيلسوف، وعالم ونجاح روايته التحولات (Metamorphoses) الأسطورة الفريدة التي قرنت باسمه، كل هذا صان وجدده مجده خلال قرون عديدة وأطلعوا كثيرا على مؤلفاته، واجتهدوا في تقليد أسلوبه لاوثني المنطقة، فحسب الذين يتخذونه كنموذج، بل المسيحيون أيضا ولا سيما ترويليانوس المعجب به ويعد وريثه المباشر في مجال الآداب ويفضله امتد تأثيره الروائي حتى كثناس الأطلس مدة قرنين من بعده (37).

الهوامش

- (1) Apulée (L.): Apologie - Florides, trad., p. Vallette, ed. les belles lettres (Paris 1924), p. 8.
- (2) Gostynski (T): L'Afrique du Nord dans l'antiquité, ed. libr. chatr Ahmed, Mar-rakech, (S.D.), p. 17.
- (3) Monceaux (P): Les Africains, ed. Lecene, Oudinet et Cie, Paris 1894; p. 267.
- (4) Apulée (L): Op. cit., p. 8
- (5) Apulée (L): Florides, pp. 18-20.
- (6) Berthault (H): Georin (Ch): Histoire illustrée de la littérature latine; ed. Hatier - (Paris 1923), p. 437.
- (7) Apulée (L): Les Metamorphoses au l'Ane d'or, trad. Vallette, ed. Les belles lettres; (Paris 1947), pp. 9-10.
- (8) Monceaux (P): Op. cit., p. 270-271.
- (9) Apulée (L): 23; Florid, 15; De mundo; 17.
- (10) Monceaux (P): op. cit., pp. 272-276.
- (11) Apulée (L): Apologie, Florides, Intra. XIV.
- (12) Bayet (J): La littérature Latine, ed. Armand-Colin; (Paris 1956); p. 628.
- (13) Berthault (H) - Georin (Ch): Op. cit., p. 438.
- (14) Batolaud: Oeuvres d'Apulée (2 Vol); Trad. Française, 2ème ed. (Paris 1862), pp. 99-101.
- (*) الآلهة البيت عند الرومان.

3 - التحولات أو المسوخ ويعرف بالعمار الذهبي (Metamorphoses): يعد من أعظم ما ألفه أبوليوس، وهي عبارة عن قصة في إحدى عشر كتابا. موضوعها مقتبس من حكاية اغريقية، تتناول حكاية شاب فضولي رأى ذات مرة صديقة، ساحرة تدلك بمرهم وتحولت إلى عصفور، وحلقت في السماء، أراد تقليدها، لكنه أخطأ في القرورة ووجد نفسه قد تحول إلى حمار (3.1)، ومنذ ذلك، تعرض إلى تجرع الحياة البائسة المخصصة للحيوانات، لكنه مع الإحتفاظ بحسه النقدي ذات مرة سمع أرغولة في غار بعيد تقص قصة الروح المحبوبة والذي فقدته بعدم التبصر، وبعد مشاق طويل التحقت به، (6.4) وأصبح بالتوالي في خدمة الآلهة السورية لكن سرعان ما فر وكله نفور ويأس (10.7) لكن الآلهة إزيس لطبيعتها أرجعت له أخيرا شكله الإنساني، وانكب على عبادة أزييس وأزييس زوجها المقدس وكرس حياته لخدمتها (30).

إن عبارة الحمار الذهبي ما هي إلا دلالة على شعبيته إذ يبدو أنه كان مطابقا لذوق العصر، كان الناس يتسابقون للحصول عليه، خفية حتى أنه يقال أن الامبراطور سيفيروس عاتب كثيرا منافسه كلوديوس ألبينوس على اعتباره «الحمار الذهبي» قرأته المفضلة (31)، وهو كتاب يصعب تحديد تاريخ كتابته، فهو سابق لسنة 197م، التي تعد تاريخ وفاة الامبراطور ألبينوس. ومن المرجح أنه كتب في النصف الأول من حكم الامبراطور أوربيلوس (32).

أسلوبه

يبدو أن أبوليوس خلق لنفسه صورة أدبية جديدة، وأدرك بنفسه أنه لم يتحدث بلغة الجميع، ولهذا قدم اعتذاره في بداية رواية الحمار الذهبي قائلا: «إنني أجنبي عن روما، عانيت كثيرا لتكلم لغتكم دون معلم، وإذا أطلب منكم العفو من كل العبارات الدخيلة والإقليمية التي تظهر» (33).

ظل أبوليوس أفريقي العمق وهو رجل تصور والإرادة، مغرم بالأشكال والألوان أكثر من عشقه للأفكار، يدفعه ذوقه إلى الوصف والرسم أكثر من التحليل ولم يكن مخلصا أبدا للغة الكلاسيكية في روما. في طفولته كان يتحدث دائما باللغة الليبية أو البونيقية، واللاتينية الوحيدة التي كان يرتاح لها هي لاتينية الأطلس (34).

يختلف أسلوب أبوليوس باختلاف المواضيع التي عالجه، نجده بسيطا وطبيعيًا في المؤلفات الفلسفية، ومتكلفا ومتقنا للغاية في كتابه «فلوريدا» بينما كان أسلوبه